مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: موقف روسيا الاتحادية من استفتاء اقليم كردستان العراق عام 2017
اسم الكاتب: م.م. حسام محمد خضير
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/7284
تاريخ الاسترداد: 2026/05/14 11:46 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

موقف روسيا الإتحادية من إستفتاء إقليم كردستان العراق عام ٢٠١٧

م.م. حسام محمد خضير (*)

المُلخص

يتناول البحث موقف السياسة الخارجية الروسية من إستفتاء إقليم كردستان حول الإنفصال عن الحكومة الإتحادية في بغداد. فقد تميزت الإستراتيجية الروسية بالغموض وعدم تبني رؤية واضحة تجاه قضايا الشرق الأوسط، ومن ضمنها القضية الكردية (مدار البحث) ومحاولة الإنفصال غير الشرعية في العراق. إذ دعت روسيا الإتحادية الحكومتين الكردستانية والإتحادية إلى حل النزاع بالأساليب الدبلوماسية السلمية، وأشارت إلى ضرورة الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية. إلا أنها (روسيا الإتحادية) لم تتوان عن إبرام الإتفاقيات الثنائية وتوقيع العقود الإستثمارية مع حكومة إقليم كردستان في مجال الطاقة وإستخراج النفط دون الرجوع إلى الحكومة الإتحادية في بغداد، التي عدت هذا الإجراء غير قانوني ومخالف لبنود الدستور العراقي. وبذلك تم التوصل إلى الإستنتاج الأهم في الدراسة، الا وهو، عدم وضوح الموقف الروسي من مسألة إستفتاء كردستان، إذ بقيت محافظة على الموقف الحيادي ما بين القبول والرفض، في الوقت الذي جوبه به الإستفتاء آنفاَ بإنتقادات عدة من جانب الدول الإقليمية والغربية ودول المنطقة.

Abstract

This research aims to the position of the Russian foreign policy on the referendum of the Kurdistan region on the separation from the federal government in Baghdad. The Russian strategy is ambiguous and does not adopt a clear vision of Middle Eastern issues, including the Kurdish issue and the attempt to disengage from Iraq. The Russian Federation called on the Kurdish and Iraqi Governments to

(*)مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد.

resolve the dispute through peaceful diplomatic means and pointed to the need to preserve the territorial integrity of Iraq, meanwhile the Russian Federation has not stopped the conclusion of bilateral agreements and the signing of investment contracts with the Kurdistan Regional Government in the field of energy and oil extraction without reference to the federal government in Baghdad. Where the Iraqi government claimed this action is illegal and contradictory to the provisions of the Iraqi constitution. In conclusion, the study showed the lack of clarity of the Russian position on the issue of the referendum of Kurdistan which, Russia has maintained a neutral position between acceptance and rejection while the referendum was rejected and denied from several regional and Western countries.

المقدمة

تحظى الحركة القومية الكردية، في الوقت الحاضر، بأهمية خاصة وكبيرة في دول غرب آسيا من بين سلسلة واسعة ومتنوعة من مشاكل البنية العرقية – الطائفية والإجتماعية والسياسية في الشرقين الأوسط والأدنى، إذ أن الأهمية الجيوسياسية والجيوإقتصادية والجيوإستراتيجية لإقليم كردستان العراق باتت واضحة من خلال كتابات ودراسات العديد من الخبراء المحلين والأجانب، وفي مقدمتهم المُختصين بالعلوم السياسية والمؤرخين – المستشرقين وغيرهم. فمنذ العصور القديمة يقع الأكراد في قلب أحداث السياسة الإقليمية والدولية، لأنهم غالباً ما كانوا يمثلون طرف للعلاقات الدولية، وذلك عن طريق مشاركتهم الفاعلة في الحروب العثمانية – الصفوية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. أما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت دول أوروبا الغربية كثيراً ما تستخدم الشعب الناطق باللغة الكردية لممارسة الضغط على تركيا وإيران، وتحقيق الهيمنة في الشرق. وفي منتصف القرن العشرين مارس كل من العراق وإيران الضغوطات المتبادلة والمؤثرة على الأمن القومي الداخلي لكلا البلدين، وذلك عن طريق إستخدام الورقة الكردية. ففي كل بلد من البلدان الآتية: العراق وسوريا وتركيا وإيران، توجد قوى سياسية تُعبر عن مصالح الأقلية القومية الكردية.

نتيجة لما تقدم، شهد الشرق الأوسط والعالم في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر/ أيلول عام ٢٠١٧ حدثاً تاريخيا مؤثراً بشكل كبير على مُستقبل المنطقة – الإستفتاء حول إستقلال كردستان العراق عن الحكومة الإتحادية في بغداد، وقد كشفت نتائج هذا الإستفتاء

(غير المُعترف بها من جانب الحكومة الإتحادية) عن رغبة الأغلبية الساحقة من الكرد العراقيين بالإنفصال عن سلطة بغداد، ودعمهم لتأسيس دولة كردية مُستقلة، وقد جوبه هذا الأستفتاء بجملة واسعة من الإنتقادات والإعتراضات والتحذيرات الداخلية والإقليمية والدولية التي عدته بغير الشرعي والمُناقض لأحكام الدستور كونه يعمل على إضعاف الوحدة الوطنية العراقية.

إن الهدف من الدراسة هو أن نبين موقف السياسة الخارجية الروسية من الإستفتاء المذكور وبذلك يكون بإستطاعتنا الإجابة عن العديد من التساؤلات، ولعل من أبرزها:

هل تؤيد روسيا الإتحادية إستقلال كردستان عن بغداد في ظل تحذيرات الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وإيران للإقليم من خطورة وعواقب إقامة دولة كردية مستقلة ؟؛

هل لروسيا مصالح مشتركة وعلاقات متبادلة (سياسية وإقتصادية وثقافية) مع العراق، الأمر الذي يدفعها لتأييد وحدة الأراضي العراقية؟.

تنطلق فرضية الدراسة من أن روسيا الإتحادية لا تنتهج سياسة خارجية ثابته، ولا تمتلك موقف مستقر من القضايا العالقة في الشرق الأوسط عامةً، ومن القضية الكردية خاصةً والتي هي مدار بحثنا. وسنوضح في صفحات الدراسة اللاحقة إمكانية إثبات هذه الفرضية.

أعتمدت الدراسة على المناهج الأتية: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي ومن ثم المنهج التحليلي. وذلك سعياً منا للوصول إلى حصيلة إستنتاجات نوعية وفي الوقت نفسه موجزة ومبسطة لموضوع البحث المطروح.

تتألف هيكلية الدراسة من مقدمة ومبحثين (مدرجين أدناه) وخاتمة (إستنتاجات):

١. المبحث الأول بعنوان (روسيا والأكراد: نظرة تأريخية لنشؤء وتطور العلاقة): يختص المبحث الأول بدراسة طبيعة ومراحل العلاقة الروسية – الكردية ذات العمق التأريخي في المنطقة الآسيوية وذلك بدءاً من حقبة الإتحاد السوفيتي، وعلى التعاقب وريثها الأكبر (روسيا الإتحادية) ولغاية المرحلة التي سبقت الحرب ضد الإرهاب وضد تنظيم داعش في منطقة الشرق الأوسط.

٢. المبحث الثاني بعنوان (الموقف الروسي من القضية الكردية وإستفتاء إقليم كردستان عام ٢٠١٧): سنتناول في هذا المبحث تتبع موجز للعلاقات الروسية – الكردية في مرحلة الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي (داعش)، ومن ثم نتابع موقف روسيا الإتحادية من قرار أربيل بالإستفتاء حول الإنفصال عن بغداد في ظل سعيها في الحفاظ على مسار وطبيعة العلاقات الدولية التي تربط موسكو بالعراق كحكومة مركزية في بغداد من جهة، وحكومة إقليم كردستان في أربيل من جهة آخرى.

المبحث الأول: روسيا والأكراد: نظرة تأريخية لنشوء وتطور العلاقات

أولاً – المرحلة السوفيتية

إعترف الإتحاد السوفيتي في العام ١٩٢١ بالقومية الكردية، وفي العام ١٩٢٣ تم تأسيس إقليم كردستان في جمهورية أذربيجان الإشتراكية وأصبحت عاصمتها في مدينة لاجين، الواقعة على الحدود مع جمهورية أرمينيا الإشتراكية، وهذه المدينة تقع داخل منطقة ناكورنو كاراباخ، بعد أن أُلحقت بأرمينيا المستقلة منذ العام ١٩٩٢، وسرعان ما أصبحت هذه المنطقة الكردية السوفيتية والتي عرفت بإسم (كردستان الحمراء) بمثابة موطن للحركة القومية الكردية للأكراد في العراق والذي كان في ذلك الوقت تحت الإنتداب البريطاني، ولأكراد سوريا أيضاً التي كانت تحت الإنتداب الفرنسي آنذاك، وكذلك الحال بالنسبة لأكراد تركيا وإيران، ووفقاً لمعطيات إحصاء السكان لعام ١٩٢٦، شكل الأكراد السوفيت ما يقارب ٧٠ ألف نسمة، منهم ٦٧ ألفاً كانوا يسكنون في القوقاز، وأقل بقليل من ثلاثة ملايين نسمة كانوا من سكان آسيا الوسطى، وبحسب تقديرات المصادر الآخرى، فقد شكل عدد سكان الأكراد السوفيت ١٦٠ الف نسمة، إلا أنه في كلا الحالتين، فإن الأكراد السوفييت كانوا معدودين، في حالة تمت مقارنتهم مع المجتمعات الكردية في الشرق الأوسط آنذاك، والذين كان قد بلغ عددهم عدة ملايين نسمة، علماً بأن الأكراد السوفيت في عشرينيات القرن الماضي كانوا يتمتعون بحكم ذاتي واسع بثقافته ولغته، إلا إنهم تعرضوا، في الثلاثينيات من القرن الماضي، لسياسة فرض إقرار السلطة والعقيدة السوفيتية والتي تمثلت بشكل كبير في ترويس أسماء([1]) الألقاب

والسلالات، بإستثناء الكرد الأيزيديين الذين كانوا يقطنون القوقاز، وأستثني كذلك من هذه السياسة الأكراد الذين إستقروا في تركمانستان، إذ أنه تم ترحيل الأغلبية الكردية إلى مناطق آسيا الوسطى، وفي مقدمتها، كازاخستان وأوزبكستان وقرغيزيا([٢]) .

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، عملت موسكو، وسط ظروف الإحتلال الإنكليزي- السوفيتي لإيران، على دعم الأكراد لإقامة جمهورية مهاباد الكردية ذات الحكم الذاتي والتي قد أعلن عنها رسمياً في كردستان الإيرانية في شهر يناير/ كانون الثاني عام ١٩٤٦، وعلى خلفية ذلك، إنتقل (مله مصطفى بارازاني)([٣]) من العراق إلى إيران وأصبح وزيراً عسكرياً ضمن التشكيل الجديد، إلأ أن هذه الجمهورية لم تدم اكثر من ١١ شهراً، فبعد سحب الإتحاد السوفيتي قواته من إيران في العام نفسه، أفتقرت جمهورية مهاباد للدعم العسكري، وإنهزمت شر الهزيمة من قبل القوات التابعة للجيش الإيراني، الأمر الذي أجبر المئات من المقاتلين الأكراد الذين كانوا آنذاك تحت قيادة (مصطفى بارازاني) للبحث عن مأوى لهم بالقرب من الحدود الإيرانية – العراقية، فلجأوا إلى الإتحاد السوفيتي في شهر يونيو / حزيران عام ١٩٤٧، حيث قضوا منفاهم هناك لمدة ١٢ سنة في بلاد ما وراء القوقاز وآسيا الوسطى، وصار الزعيم الكردي (مصطفى بارزاني) يلقب بـ (ماميدف أو مُحَمَّدوف)، وقد تم إستقبال الآخير شخصياً من قبل جيورجي مالينكوف الذي إستلم السلطة كرئيس للإتحاد السوفيتي بعد وفاة جوزيف ستالين في العام ١٩٥٣، وقد أنتهت مرحلة منفى الزعيم الكردي (مصطفى بارزاني) وعاد إلى العراق في العام ١٩٥٨ منتهزاً فرصة إسقاط المملكة الهاشمية في العراق ونهاية الحكم الملكي بعد إنقلاب ١٤ تموز لعام ١٩٥٨ بقيادة عبد الكريم قاسم الذي كان يدعو آنذاك مع مجموعة من الضباط العراقيين إلى ضرورة القيام بتسوية سلمية بشأن القضية الكردية وعودة الأكراد من بلاد المنفى إلى وطنهم العراق([٤]) . شرع الإتحاد السوفيتي منذ ستينيات القرن الماضي بإرسال وفود دبلوماسية إلى بغداد وكردستان العراق لأكثر من مرة، وذلك من أجل إيجاد حلول مناسبة وتسوية سلمية للعلاقات المتوترة بصورة دورية بين السلطة المركزية في بغداد والقوى السياسية الكردية، إذ كان الإتحاد السوفيتي يدعم

بقوة الأكراد في العراق لتأسيس دولة كردية ذات حكم ذاتي على الأراضي العراقية، وبالوقت نفسه كان الإتحاد السوفيتي يحرص على أن قيام هذه الدولة الكردية المستقلة لن يؤثر سلباً على وحدة الأراض العراقية ككل(٥) .

منذ العام ١٩٧٠ توجه الأكراد بزعامة مصطفى البارزاني لطلب المساعدة والدعم العسكري من واشنطن في صراعهم مع نظام صدام حسين المدعوم من الإتحاد السوفيتي آنذاك. وبالرغم من دعم المخابرات المركزية الأمريكية للأكراد، وتوقيع إتفاقية الحكم الذاتي في العام نفسه، إلا أن الدعم الأمريكي لم يكن يشمل أي شيء يتجاوز الحكم الذاتي للأكراد داخل العراق(٦).

ثانياً – روسيا الإتحادية

أصبحت الإدارة الروسية في الآونة الأخيرة تمنح إهتماماً كبيراً للأحداث التي تدور في داخل العراق وحوله، إذ أنها تسعى بقدر المستطاع على أن تستأنف العلاقات العريقة والوطيدة التي كانت تربطها بدولة العراق خصوصاً وبدول المنطقة عموماً، والتي فقدت لمعانها نتيجة لإنهيار الإتحاد السوفيتي وما تبعه من تغيرات للأوضاع الداخلية في روسيا والنظام العالمي ككل، بالرغم من أن القضية الكردية، حسب تقديرات العلماء والمؤرخين والباحثين الروس، لا تمس المصالح الروسية بصورة مباشرة، إلا إنها تبقى قضية معقدة ومبهمة ذات أهمية وخطورة دولية ولا تقل شأناً عن القضية الفلسطينية، فإذا أخذنا بنظر الإعتبار المقدار المحتمل لأساليب العنف وسفك الدماء في حال تم إثارة نزاع مسلح جديد في المنطقة، وتم إستخدام العامل الكردي في هذا النزاع، فسيتولد صراع نظير للصراع العربي – الإسرائيلي، وسيسود الدمار والخراب ومجازر القتل معظم أجزاء المنطقة(٧) .

إن تفعيل العلاقات بين الكرملين والأكراد في تسعينيات القرن الماضي كان مشروطاً بضرورة تبني أساليب جديدة للضغط على آنقرة، فمن ناحية تسعى موسكو لتقليص النفوذ التركي في القوقاز المتوتر من جراء الحرب الروسية – الشيشانية (١٩٩٤ – ١٩٩٦)، حيث تسعى آنقرة إلى شغل الفراغ الإستراتيجي الذي خلفه الإتحاد السوفيتي بعد إنهياره، فبدأت

تركيا بتوظيف الديناميكية الإقتصادية في القوقاز وإثارة العوامل العرقية واللغوية والدينية وجعلها ورقة ضغط ضد روسيا الإتحادية في تلك المنطقة، ومن ناحية آخرى كانت روسيا الإتحادية تسعى إلى تبني أسلوب جديد للتأثير على المساعي التركية المحتملة للحد من تدفق الناقلات النفطية عبر مضيقي البسفور والدردنيل، إذ أن الدخل القومي الروسي يرتكز بشكل كبير على تصدير النفط والغاز إلى أوربا عبر المضايق التركية، فمنذ عام ١٩٩٤ أصبحت القضية الكردية تمثل المحور الرئيس للنزاع بين تركيا وروسيا، لا سيما بعد إعلان الأخيرة عن تنظيم مؤتمر دولي للأكراد، ومن ثم تبعته زيارة إثنين من النشطاء المبعدين من تركيا (علي يجيت و ونكدان بولدان) للعاصمة الروسية موسكو في يناير/ كانون الثاني عام ١٩٩٥ وذلك بهدف دراسة إمكانية تأسيس برلمان كردي هناك في المنفى، يُذكر أن حزب العمال الكردستاني يخوض حرباً متواصلة منذ عام ١٩٨٤ ضد الجيش التركي في جنوب شرقي البلاد، وقد تسبب هذا الصراع في غضون الثلاثة عقود الآخيرة بمقتل أكثر من ٤٠ ألف شخصاً، وإجبار ٢ مليون آخرين بالنزوح والهجرة إلى خارج موطنهم، كما ساعد تعيين يفغيني بريماكوف كوزير للخارجية الروسية بقرار من الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسن في يناير/ كانون الثاني عام ١٩٩٦ على إعادة تأسيس العلاقات الروسية – الكردية، إذ أن الخبير في شؤون الشرق الأوسط (بريماكوف) كان يحافظ على علاقات قوية وواسعة مع القادة الأكراد والذين تعامل معهم منذ ستينيات القرن الماضي، وكانت تربطه علاقات جيدة مع جلال الطالباني وعائلة البرزاني، وفي عام ١٩٩٨ أستقبل بريماكوف بصورة عاجلة في موسكو وفد تابع للحزب الديمقراطي الكردستاني المبعوث من أربيل، وقد كانت نتيجة اللقاء الإعلان عن إفتتاح ممثلية للحزب المذكور في العاصمة الروسية موسكو، وفي ظل الغزو الأمريكي وسقوط النظام في بغداد عام ٢٠٠٣، بدأت العلاقات الروسية – الكردية مرحلة جديدة، فقد كانت روسيا الإتحادية من الأوائل من خلال مبادرتها بفتح قنصلية عامة لها في أربيل، غير أن موسكو لم تستطع إستثمار علاقاتها مع أكراد العراق بنطاق واسع في العقد الاول من القرن الحالي، وذلك لإنها كانت تطمح بنفس الوقت للحفاظ على شراكتها مع تركيا وليس

لديها الرغبة في أن يفهم تقربها من الاكراد على أنه دعم للحركات ذات النزعة الإنفصالية، وقام يفغيني بريماكوف بزيارة كردستان العراق في عام ٢٠٠٨ (بصفته نائباً لغرفة التجارة والصناعة لروسيا الإتحادية في ذلك الوقت)، وقد عبر الأخير خلال زيارته عن شدَة أسفه بسبب ضعف الإستثمارات للشركات الروسية والتواجد الضئيل للنفوذ الروسي في الإقليم الكردي الذي كان يعيش مرحلة من التطور والإزدهار الكبير والسريع، فضلاً عن إستقرار الوضع الأمني بشكل ملحوظ في تلك المنطقة([٨]) .

إن القضية الكردية كانت وما تزال وسيلة إستراتيجية تستخدمها القوى الإقليمية والعالمية أيضاً لممارسة الضغوط فيما بينها وتوظفها كسلاح فاعل ومؤثر يعمل على تغيير المسار الإقتصادي أو السياسي أو العرقي لحكومة بلد ما. وتأتي كل من العراق وسوريا وتركيا في مقدمة تلك البلدان التي يقطنها الأكراد الطامحين لحكم ذاتي وسلطة مستقلة. إذ أنَ تجربة العراق في إقامة النظام السياسي الديمقراطي وفقاً لما جاء في الدستور العراقي وقوانينه النافذة، كانت قد أثارات العديد من مواضيع الجدل والتوتر والخلافات حول موضوعات ومشاكل عدة كان أبرزها: شكل الدولة وطبيعة نظام الحكم فيها، وصلاحيات السلطات الإقليمية والمركزية، وكيفية توزيع الثروات والموارد الطبيعية، وغيرها من المسائل الخلافية والتحديات التي واجهها النظام السياسي العراقي، وما زال هذا الخلاف قائم بين ممثلي الكتل السياسية في الحكومة العراقية حول مسائل شتى منها: قانون الأقاليم، وتوزيع الإختصاصات والسلطات والصلاحيات بينها وبين الحكومة الإتحادية، وتنازعها في في أغلب الأحيان مع صلاحيات الحكومة المركزية([٩]) .

إن انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور القطب الأميركي الوحيد في العالم، وتغيير مفهوم السيادة والعلاقات الدولية والمصالح المشتركة بين الدول في ظل النظام العالمي الجديد المتمثل بـ (العولمة) قد فتحت آفاقا جديدة على القضية الكردية، فلم تعد العلاقات الكردية أسيرة الدول التي تتقاسمها، بل طرقت أبواب أميركا وأوروبا، وبالتالي لم تعد القضية الكردية قضية محلية فحسب، بل تحولت إلى مسألة عالمية وأصبح اللاعب الكردي معروفا فيها([١٠]) .

فبالرغم من أن لروسيا الإتحادية تأريخ عريق ودور مهم في القضية الكردية كما أشرنا آنفاَ، وتسعى لتحقيق التوازن في تعاملها مع الأكراد والحكومات المركزية في الشرق الأوسط وذلك سعياً منها للوصول إلى أهدافها في هذه المنطقة على أتم وجه، الإ أن هذا الباع الطويل في دعم الأكراد لا يلبي هذه الطموحات الروسية في تحقيق أهدافها، والتي غالباً ما تكون مرهونة بعوامل عدة في الوقت الحاضر، منها، تغير موازين المنطقة السياسية والإقتصادية، ومدى إستقرار العلاقات الروسية مع حكومات الدول في الشرق الأوسط كالعراق وتركيا وإيران. فمن المُستبعد أن تدعم روسيا الأكراد ضد النظام الحاكم في سوريا، في حين أنه من الممكن أن تستخدم الورقة الكردية في تركيا عند اللزوم، وبإمكانها أن تمارس الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية في العراق. كل ذلك يعتمد على طبيعة وحجم المصالح الروسية في المنطقة.

المبحث الثاني: الموقف الروسي من القضية الكردية وإستفتاء إقليم كردستان عام ٢٠١٧

أولاً – كردستان وروسيا الإتحادية: أطر التعاون في مرحلة الحرب ضد داعش

يرى محللون أن كل من روسيا الإتحادية وإقليم كردستان العراق يلتقيان بالوقت الحاضر في العديد من المصالح المشتركة، وترتبط هذه المصالح بصورة رئيسة بمكافحة الإرهاب والقضاء على تنظيم داعش، وكذلك التعاون في مجال الطاقة، ومن الجدير بالذكر، إن (نيجيرفان بارزاني)([١١]) كان قد مارس دور كبير ومهم في إستمرار العلاقات الروسية – الكردية، ويعود الفضل الكبير إليه في تطوير هذه العلاقات في المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية التي تربط الطرفين، ومن جانبها، كانت روسيا الإتحادية تعمل دائما على دعم وحدة الأراضي العراقية، وبالوقت نفسه تؤيد وبشدة حق الأكراد بقيام منطقة حكم ذاتي واسع بتشكيلاته([١٢]) .

وفي سياق التعاون الروسي – الكردي، فقد ترأس نيجيرفان بارزاني وفد كردستان العراق في المنتدى الإقتصادي العالمي الذي أقيم في مدينة بطرسبورغ الروسية في صيف عام ٢٠١٦، وفي ميادين المُنتدى المذكور، فقد جرت العديد من اللقاءات التي جمعت الوفد

الكردي مع وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف وكذلك وزير الطاقة الروسي ألكسندر نوفاك، وتم التطرق إلى الإنجازات الملحوظة في مجال النفط والغاز، الأمر الذي يعطي أساس للشكوك حول إقدام الشركات الروسية، وفي مقدمتها «غاز بروم»، نحو الإستثمار مستقبلا في تنقيب وإستخراج المحروقات في إقليم كردستان العراق، ومن خلال مشاركته المباشرة في المنتدى المذكور([١٣]) .

كان نيجيرفان بارزاني قد وقع العديد من إتفاقيات التعاون الثنائي مع الجامعات والمؤسسات التعلمية الروسية، إذ يُعد التعليم واحد من أهم الأولويات في منظور رئيس وزراء إقليم كردستان، وقد تضمنت هذه الإتفاقيات إمكانية دراسة الطلبة الأكراد المبتعثين من كردستان في روسيا الإتحادية، وكذلك الإستفادة من الخبرات الروسية في مجال التعليم عن طريق إرسال أساتذة ومحاضرين روس إلى كردستان لإلقاء المحاضرات والسيمينارات وممارسة التدريس في جامعات الإقليم، أما بالنسبة للتعاون الثقافي بين روسيا الإتحادية وكردستان فلا يقل أهمية عن سابقه، ففي ٢٩ يونيو / حزيران عام ٢٠١٦ في مدينة آربيل عاصمة كردستان العراق تم إفتتاح فرع لتنظيم إجتماعي روسي ‹‹منظمة الصداقة للشعوب الروسية – الكردية››، ويهدف هذا التنظيم إلى النشاط الثقافي في كل من روسيا الإتحادية وكردستان، إذ يقوم هذا النشاط على خلق وسائل جديدة للتفاهم وتعزيز العلاقات بين الشعبين الروسي والكردي([١٤]).

وفي الجانب الأمني، ترى روسيا الإتحادية أن للأكراد دور كبير ومهم في تطور الأحداث في العراق وسوريا من خلال مجابهة القوات العسكرية الكردية لتنظيم داعش الأرهابي، وفي هذا الصدد أشار بريماكوف إلى أن تنظيم الدولة الإسلامية يعد خطراً واقعياً وتهديداً حقيقياً لروسيا الإتحادية وجميع بلدان العالم، ومن خلال زيارة المندوب الخاص للرئيس الروسي فلاديمير بوتين في الشرق الأوسط ميخائيل بوغدانوف ولقائه برئيس وزراء كردستان العراق نيجيرفان بارزاني في شهر يناير / كانون الثاني عام ٢٠١٥ في أربيل، كانت قضية مكافحة الإرهاب العالمي والقضاء على داعش واحدة من أهم المواضيع المطروحه للنقاش خلال هذا

اللقاء([15]) . وتختلف موسكو من حيث طبيعة دعمها للأكراد لمحاربة داعش عن الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة البريطانية، إذ قامت الدول الغربية المذكورة في بداية مارس / آذار عام ٢٠١٦ بتزويد الأكراد بالسلاح، إلا أن روسيا الإتحادية لم تدعم كردستان عسكرياً بالسلاح، وإنما قامت بعمل تعاون مشترك مع كل من بغداد وأربيل في مجال الإستخبارات العسكرية، علماً أن مسؤول دائرة العلاقات الخارجية في حكومة إقليم كردستان فلاح مصطفى بكر قد أدلى بتصريح صحفي لجريدة «إيزفيستيا» الروسية، عقب إنتهاء لقاءه بنائب وزير خارجية روسيا الإتحادية ميخائيل بوغدانوف، الذي إشار به إلى إن السلطات في إقليم كردستان العراق كانت قد تقدمت بطلب منذ وقت قريب إلى روسيا الإتحادية، وذلك لكي تقوم الأخيرة بإبداء المساعدات الإنسانية والعسكرية اللازمة للإقليم([16]) .

ثانيا – الموقف الروسي من الطموح الكردي وإستفتاء إقليم كردستان

بعيداً عن تفاصيل الإستفتاء وأسبابه ونتائجه، سوف يقتصر هذا الجزء من دراستنا على بيان الموقف الروسي من هذا الإستفتاء في ظل وجود قوى إقليمية ودولية معارضة على الساحة الدولية كالولايات المتحدة الأمريكية التي وصفته على أنه «الخيار الخاطئ في الوقت الراهن»، ودول أخرى ترفض تماماً فكرة الإستقلال الكردي عن بغداد كتركيا وإيران. فقد اتخذت روسيا الإتحادية موقفاً أكثر دقةً من الاستفتاء، وذكرت في ذلك الوقت أنها "تحترم التطلعات الوطنية للأكراد" وترى أن النزاعات بين بغداد وأربيل "يمكن، ويتعيّن حلها من خلال إجراء حوار بنّاء قائم على الاحترام يهدف إلى التوصل إلى صيغة تعايش داخل دولة عراقية واحدة يقبلها الطرفان"، على العكس تماماً من واشنطن التي قدمت تصاريح مماثلة جداً، إلا أنها حشدت أيضاً معارضة قوية ضد الاستفتاء، في حين ظلت موسكو محايدةً بشكل علني، وذلك لأنها تدرك جيداً بأن هذا النهج سيمنحها قدراً كبيراً من المرونة مع الأكراد في الظروف المتوترة التي أعقبت التصويت([17]). فقد ذهبت موسكو مسرعةً لتوقيع العقود والصفقات ومنح القروض لحكومة كردستان من خلال زج لاعبها الدولي المتمثل

بشركة (روسنفت) التي يسيطر عليها الكرملين لتنفيذ الإستثمارات النفطية وإنشاء خطوط أنابيب غاز جديدة وإنجاز مشاريع تكاد تصل تكلفتها إلى مئات الملايين من الدولارات، ومن هنا يتضح تناقض الموقف الروسي من الإستفتاء الكردي، علماً أن إيغور سيتشن رئيس شركة روسنفت الروسية كان قد أكد على أن نية موسكو في إستثماراتها في إقليم كردستان تقتصر على التعاون الإقتصادي المُجرد من أية دوافع أو مخططات سياسية، ومن المُقرر إن تصل طاقة خط أنابيب الغاز المتفق عليها إلى ٣٠ مليار متر مكعب من صادرات الغاز سنوياً، وسيتم المباشرة بمد هذا الخط في عام ٢٠١٩ لخدمة إقليم كردستان، ويبدأ التصدير في عام ٢٠٢٠، كما شمل الإتفاق تطوير خمسة حقول نفطية وتوسيع البنية التحتية لخطوط الأنابيب التي تنقل النفط الخام عبر الأراضي التركية إلى الأسواق العالمية، وبذلك سوف يتمكن الإقليم من زيادة صادراته النفطية إلى مليون برميل يومياً في نهاية العقد الحالي بدلاً من ٦٥٠ ألف برميل يومياً في الوقت الراهن([١٨]) . وقد عززت شركة روسنفت الروسية تعاونها مع الإقليم من خلال إقراضه مبلغ قدره ١,٢ مليار دولار في شهر فبراير / شباط من العام الماضي، وبذلك تصبح أول شركة نفط أجنبية تتعهد بصورة علنية بتمويل مسبق للصادرات، وبالتالي أصبحت موسكو أكبر ممول منفرد للإقليم لتصل إستثماراتها الإجمالية إلى نحو ٢,٨ مليار دولار، كما تتطلع شركة غازبروم نفت الروسية العملاقة لتوسيع أنشطتها في الإقليم بقيمة تتجاوز الأربعة مليارات دولار، لتمثل تحولاً كبيراً في الإقليم الذي تربطه علاقات وطيدة مع واشنطن منذ عام ١٩٩١([١٩]) . ووفقاً لمصادر إعلامية فإن الإتفاق بين حكومة كردستان وشركة روسنفت الروسية قد تم توقيعه في ٢٠ من شهر أكتوبر / تشرين الأول عام ٢٠١٧، أي في ذروة الأزمة والتوتر بين بغداد وأربيل التي خلفها الإستفتاء في ٢٥ سبتمبر / أيلول عام ٢٠١٧([٢٠]). وبذلك أصبحت روسيا في الآونة الأخيرة واحدة من أكبر شركاء إقليم كردستان في مجالي النفط والغاز الطبيعي، إذ وقعت شركات النفط الروسية عقد بمبلغ ٤ مليار دولار للإستثمار في هذا المجال، وإن من ضمن المشاريع المخطط لها أيضاً بين الجانبين الروسي والكردي – بناء خط أنابيب عبر تركيا، وبالتالي فإن أنقرة لن تتجرأ على إستخدام

ورقة الطاقه ضد أربيل، إذ ستكون موسكو على الأغلب في مواجهتها، لاسيما أن ربيع العلاقات بين الأتراك والروس قد حل منذ وقت قريب، وذلك بعد تطبيع وتسوية معظم الخلافات العالقة بين روسيا وتركيا بشأن العديد من قضايا المنطقة وفي مقدمتها القضية السورية([٢١]).

وفي سياق هذا الموضوع، حرصت الباحثة والمُحللة الإيرانية "عفيفة عابدي" على إعداد تقرير تحليلي، صدر عن "مركز الدراسات الإستراتيجية"، التابع لمجمع تشخيص مصلحة النظام الإيراني، والذي أشارت به إلى أنه لا توجد مصالح روسية مُباشرة من دعم أو رفض إستقلال كردستان العراق، وأعزت الباحثة ذلك إلى أسباب عدة، لعل من أبرزها([٢٢]):

١. لا تُمثل مسألة الأكراد موضوع مُنافسة بين روسيا وأميركا، وبالتالي لا يمكن اعتبارها كارت رابح لأي من الطرفين.

٢. يعجز الروس عن تحديد الأطراف ذات المصالح المُشتركة في عملية دعم أو رفض استقلال الأكراد.

٣. لا يسعى الأكراد للحصول على دعم موسكو.

٤. تمكنت روسيا تحت العقوبات الغربية من الحصول على نصيب من طاقة الإقليم. هذه الأسباب كانت سبباً في عدم اتخاذ روسيا أي موقف رسمي حيال الاستفتاء على استقلال كردستان العراق.

إستناداً لما تقدم، يمكن القول أن أهمية إقليم كردستان المتمثلة بموقعه الجيوإستراتيجي المهم وثرواته الطبيعية والنفطية الهائلة جعلت منه مادة خام يطمح لإستخدامها الكثير من القوى العالمية والإقليمية، ناهيك عن دور الأكراد الفاعل في المنطقة، الأمر الذي دفع روسيا الإتحادية ومحاولتها التقرب إلى هذه المنطقة في ظل وجود توتر بين الإقليم والحكومة المركزية في بغداد. فروسيا تحاول بقدر الإمكان أن تحرص على علاقتها مع بغداد وبنفس الوقت لا تهمل مصالحها وإستثماراتها المرتبطة مع حكومة إقليم كردستان.

الخاتمة:

على الرغم من تقلص النفوذ الروسي في العراق منذ عام ٢٠٠٣، إلا إن روسيا الإتحادية، كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والدول الإقليمية المجاورة كتركيا وإيران، تؤدي دور مؤثر في تغيير التوازنات السياسية في العراق من خلال توظيف خبراتها التقنية والبشرية في مجالات عدة ولعل من أبرزها وأكثرها فاعلية: مجالي الطاقة والآليات العسكرية، فجذور التعاون بين العراق وروسيا تعود إلى بداية أربعينيات القرن الماضي، ولا ترجح السياسة الروسية الكفة العربية على الكردية أو العكس، بل إنها تحرص دائماً على تأسيس علاقات وطيدة مع الحكومة المركزية في بغداد وحكومة كردستان في أربيل تحت شعار المصالح والإستثمارات الروسية قبل وأهم من أي شيء. في ختام الدراسة تم التوصل إلى الإستنتاجات الآتية:

١. إن إستفتاء إقليم كردستان العراق بالإنفصال ليس بقضية محلية بحته، ولا يُعد كبداية أو محاولة لتقسيم العراق فقط، وإنما يُثير تهديدات مُشابهة لدول الجوار العراقي. وتؤكد هذ الطرح موجة ردود الأفعال الواسعة والرافضة للإستفتاء على المستويين الداخلي والخارجي.

٢. يُعد كل من روسيا الإتحادية والمجتمع الكردي المساهم المهم في جيوبوليتيكا الشرق الأوسط، إذ إن الشراكة الحيوية التي تربطهم في مجالات الإقتصاد والطاقة والأمن تتطور بصورة سريعة ومثمرة، فضلاً عن إن الخلفية التأريخية تزيد من قوة وصلابة هذه الشراكة.

٣. أصبحت الورقة الكردية خلال العقد الآخير إحدى أهم وسائل التأثير والضغط الروسي في منطقة الشرق الأوسط. وخير دليل على ذلك، الإستثمارت الروسية في شمال العراق في مجال الطاقة، وتوظيفها لأكبر الشركات النفطية في روسيا (روسنيفت) التي تعود إلى الكرملين، وذلك من أجل فرض الوجود الروسي في هذه المنطقة التي تهدد مصالح الكثير من الدول الإقليمية المتاخمة، فضلاً عن أمكانية ضرب المصالح الأمريكية والحد من فاعليتها في المنطقة المذكورة.

٤. تحرص موسكو على تعزيز وتطوير علاقاتها مع إقليم كردستان دون أن تعرض للخطر مصالحها المشتركة التي تربطها بالسلطة المركزية في العراق.

٥. تتجلى الشراكة بين روسيا الإتحادية وإقليم كردستان في السنوات الآخيرة بصورة واضحة ورئيسة بالتعاون الثنائي والدولي في مجالات عدة، لعل من أبرزها مجال الطاقة وقضايا مكافحة الإرهاب في المنطقة.

٦. تسعى حكومة إقليم كردستان إلى تعزيز وتطوير علاقاتها في مختلف المجالات مع روسيا الإتحادية، وذلك لضمان حليف قوي لها في المنطقة، فهي ترى في روسيا الشريك الذي بإمكانه أن يدفع خطر الدول المجاورة عن الإقليم الكردي، وكذلك بإمكان روسيا أن تُمارس دور مهم في مصير القضية الكردية من خلال تعاطفها معها وتأييدها لقررات حكومة كردستان.

٧. تدرك روسيا الإتحادية دائماً مدى أهمية وفاعلية الأكراد المنطقة، لاسيما في مرحلة مكافحة الأرهاب والقضاء على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا وذلك بحكم الدور الكبير الذي قدمته القوات العسكرية الكردية وسعيها للحفاظ على أمن الإقليم والمنطقة ككل، حيث أن حكومة الإقليم تدرك جيداً الخطر الذي يحيط بها في حال تعرض إحدى الدول المجاورة كتركيا وسوريا للإرهاب، وبالتالي فإن ذلك سيؤتر سلباً على الأمن القومي داخل أراضي إقليم كردستان العراق، مما يدفع الإقليم إلى إشراك إمكانياته السياسية والعسكرية لحفظ أمن المنطقة.

٨. على الرغم من تأكيدها على وحدة الأراضي العراقية وضرورة إيجاد حل للقضية الكردية من خلال الحوار السلمي بين بغداد وأربيل، لم تعارض روسيا الإتحادية بصورة واضحة ومباشرة إستفتاء كردستان في أربيل وطموح الأكراد بالإنفصال عن الحكومة المركزية في بغداد، على العكس من موقف الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي طالبت بإلغاء الإستفتاء، وكذلك الدول الإقليمية كتركيا وإيران التي عارضت بشدة الإستفتاء المذكور وحذرت بالوقت نفسه حكومة إقليم كردستان من تبعاته المستقبلية.

٩. يوظف الكرملين الشركات الروسية العملاقة للإستثمار في إقليم كردستان العراق، وذلك بهدف تعزيز التواجد والنفوذ الروسي من خلال الإنتفاع من الورقة الكردية في المنطقة، فضلاً

عن الأهمية الإقتصادية لهذه الإستثمارات والتي تدر أرباحها في الدخل القومي لروسيا الإتحادية، ومن ثمَ تعمل على إنعاش الإقتصاد الروسي الذي يعاني من العقوبات الأمريكية والغربية المفروضة على روسيا الإتحادية منذ ضمها لشبه جزيرة القرم في النصف الثاني من العام ٢٠١٤.

الهوامش والمصادر

[١]– ترويس الأسماء: أي جعلها روسية، وذلك بمنح ألقاب عوائل روسية لأفراد تعود جذورهم إلى قوميات آخرى (غير الروسية).

[٢]– إيغور ديلانويه: الأكراد: نهج النفوذ الروسي في الشرق الأوسط؟، سلسلة المطبوعات الإلكترونية الصادرة عن مركز روسيا / الدول المستقلة حديثاً (**Russia / NIS**)، العدد (٨٥)، المعهد الفرنسي للدراسات الدولية (**IFRI**)، حزيران (٢٠١٥)، ص٧.

[٤]– ملة مصطفى بارزاني: مؤسس الحزب الديمقراطي الكردستاني، ووالد الزعيم الحالي للحزب نفسه (مسعود بارزاني).

[٤]– بارخوداريانتس ألكساندر: القضية الكردية في السياسة الخارجية لروسيا والدول الغربية في ظل التصدي لتنظيم (الدولة الإسلامية)، المجلة الدورية لجامعة موسكو، العدد (١)، كلية السياسة الدولية / جامعة موسكو الحكومية بإسم م.ف. لومونوسوف، ٢٠١٥، ص٩٩ .

[٥]– المصدر نفسه، ص١٠٠ .

[6]- Joost Hiltermann, International Crisis Group, 31/10/2017, What Did the Kurds Get Out of the Referendum? The site is available at the following link: https://bit.ly/2T1GGqJ

[٧]– إيفانوف ستانيسلاف ميخائيلوفيج: كردستان العراق في المرحلة المعاصرة (١٩٩١ – ٢٠١١)، سلسلة كتب معهد الإقتصاد العالمي والعلاقات الدولية، مؤسسة (أكاديمية العلوم الروسية)، موسكو، ٢٠١١، ص٧٦.

[٨]– إيغور ديلانويه، مصدر سبق ذكره، ص١١ – ١٢ .

[٩]– شيماء معروف فرحان: إشكالية العلاقة بين الحكومة الإتحادية وحكومة إقليم كردستان، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد (٦٢)، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية/ الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص٣٧ .

[١٠]- فرياد رواندزي: علاقة الكرد بالقوى الأجنبية.. ضرورة لحماية الوجود، شبكة الجزيرة الإعلامية، الموقع متوفر على الرابط الآتي: **https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c64bea6f-919d-453e-a544-4f6cad7725f8**

[١١]– نيجيرفان بارزاني: حفيد الزعيم الكردي ومؤسس الحزب الديمقراطي الكردستاني مصطفى بارزاني. وقد باشر نيجيرفان بارزاني مهامه كرئيس لوزراء حكومة إقليم كوردستان منذ يونيو / حزيران عام ٢٠١٤، وكان له آثر ودور

كبير في التطور الإستراتيجي والإقتصادي والأمني للبلاد. للمزيد من المعلومات حول السيرة الذاتية لـ (نيجيرفان بارزاني) الإطلاع على الرابط الآتي: **https://bit.ly/2IjA15Y**

[١٢]– مصطفى دانار أبو بكر: بعض الأبعاد في العلاقات الروسية – الكردية في ظل أزمة الشرق الأوسط، مجلة (**Filo Ariadne**) العلمية الإلكترونية، العدد (٤)، ٢٠١٦، ص٤ – ٧ .

[١٣]– المصدر نفسه .

[١٤]– المصدر نفسه .

[١٥]– المصدر نفسه .

١٤– المصدر نفسه .

[١٧]– آنا بورشفسكايا، بلال وهاب: «حكومة إقليم كردستان» تلجأ إلى موسكو بحثاً عن دولة راعية جديدة، معهد واشنطن، ٢٠١٨/٦/١٤، الموقع متوفر على الرابط الآتي: **https://bit.ly/2NMk2vj**

[١٨]– مسلم عباس، هل تعارض روسيا إستفتاء كردستان؟ ما لا تعرفه عن الإستثمارات الروسية في الإقليم، شبكة النبأ المعلوماتية، ٢٠١٧/٩/٢١، الموقع متوفر على الرابط الآتي:
https://annabaa.org/arabic/economicreports/12562

[١٩]– أمجد زين العابدين طعمة، نوار جليل هاشم: إقليم كردستان العراق في السياسة الأمريكية – قراءة إستشرافية، وقائع المؤتمر الدولي الثالث للقضايا القانونية (**ILIC2018**)، كلية القانون / جامعة إيشك – أربيل، ٢٠١٨/٥/١٠، ص١٥٠ .

[٢٠]– هكذا تلعب روسيا في ورقة النفط في كردستان العراق، العربية، ٢٠١٨/٤/٢٢، ١٠:٤٢، الموقع متوفر على الرابط الآتي: **http://ara.tv/mh3rw**

٢١– نيلجون تيكفيدان غوموش، إستفتاء الأكراد في عشرة نقاط، مشروع أنترنت لوسائل الإعلام الأجنبية باللغة الروسية **ИноСМИ.Ру**، ٢٠١٧/٩/٢٣، الموقع متوفر على الرابط الآتي: **https://bit.ly/2BO8rbu**

[٢٢]– حمد بناية: روسيا وإستفتاء كردستان العراق .. أسباب حرص موسكو على الوقوف في المنطقة الرمادية!، صحيفة كتابات، ٢٠١٧/٨/٨، الموقع متوفر على الرابط الآتي: **https://bit.ly/2U5GeEb**